الروائية . هذا الخط هو بالضرورة مجرد مؤشر ، ينطلق من نقطة واحدة ، ويحاول دراستها في مسار عمل ابداعي طويل النفس ، يشمل العديد من الاعمال الروائية . لكن هذه الدلالة التأشيرية التي توقفنا عندها طويلا ، تصلح أن تكون مقياسا لدراسة تطور العلاقة التركيبية بين مستوى الكتابة — الذي يدرج ضرورة ضمن المستوى الايديولوجي ، وبين مستوى الواقع — علاقات الانتاج والحركة الاجتماعية . والواقع ان أهم ما في محاولة كنفاني ، هي اصراره على المطابقة بين الادب والواقع . فالرواية والقصة تعبر عن الواقع ، قطعة منه ، تلتقط بعض عناصره لتعبر في حركتها العامة ، عن حركته العامة . أي ان محدد الحركتين في هكذا تصور محدد واضح . يقوم الادب بمهمة عكس الواقع عبر الكشف عن نقاط تحوله . البحث عن التحول الذي يسقط في الاعمال الاولى ، يتحول هنا في الاعمال الاخيرة الى ادراج لجدل الواقع في جدل الرواية . فتأتي قمة الرواية في حواراتها التي تكثف التاريخ الانساني في لحظات تحوله .

هل يصلح هذا التحليل مقدمة لدراسة العلاقة بين الادب العربي وهزيمة حزيران ؟

لقد أحدثت الهزيمة اختلالا عميقا في الفكر القومي اساسا ، ثم انعكست على بقية التيارات الايديولوجية العربية . وهي بهذا المعنى حدث ثقافي — ايديولوجي ، بمقدار كونها حدثا واقعيا . فهي رغم انها على الصعيد السياسي لم تحدث تحولات جذرية بالمعنى التاريخي ، لكنها حملت في احشائها بذور تحولات سياسية سوف تلعب والى فترة طويلة دورا مستقبليا في الحياة السياسية العربية . انها على الاقل سمحت للمقاومة بالتحول الى تيار جماهيري يلعب دورا سياسيا مقررا ، كما اطلقت العديد من التململات الطبقية من عقالها ، لتحتل دورها على المسرح السياسي . لكن الاختلال الثقافي ، كان أكثر سرعة على الاستجابة ، وعلى التوجه الى شرائح واسعة من المثقفين . هنا لعب النقد والنقد الذاتي ، دوره في فتح آفاق الفكر القومي على الفكر العلمي الماركسي ، وفرض على الادب محاولة تمثل التحولات الثقافية ، عبر الانتقال من نبوءة الهزيمة الى معاناتها عينيا وفي تفاصيل العمل الابداعي .

هذا هو المؤشر الذي يجعل من سداسية اميل حبيبي ، ايقاعا للوعي الفلسطيني الذي يعيد اكتشاف حقائقه من تفاصيل الهزيمة . وعيا بمأساة التمزق الذي ستعود « يعاد » في الثلاثية الى اكتشاف طرق العبور منها بالاشتراك الفعلي في المقاومة . هنا تأتي الممارسة الجماهيرية المسلحة على رغم الفشل الجزئي والاخطاء ، وكأنها المؤشر الحقيقي للمرحلة المقبلة .

ان الانحناءات التي تطبع جسد الرواية في بحثها عن المعاني الواقعية لرموزها السابقة ، تحول الرواية الى تفاصيل حين تدمج ببعضها تنتقل الى خيز الشعر ، الحلم الذي لا يجري في فراغ ، بل يلتقط ارضية الممارسة ويعيد سكبها في هذا « الزمن الموحش » الذي يلف ابطال حيدر حيدر وهم يبحثون عن خلاصهم في لغة التمرد الحقيقية ، في تفجير الاوضاع والحالات ، ورمي الوعي البرجوازي الى الخلف وصولا الى لحظات التفجر التي هي جواب واستشراف في آن . انها جواب على لحظات التحول الفعلية ، واستشراف لمستقبل هذه التحولات . هكذا تغرس الكتابة نفسها في المستقبل وتصبح معاناتها مؤشرات لاكتشاف العلاقات . فكسر دائرة الايديولوجيا المسيطرة لا يتم الا داخل علاقات ثورية جديدة . لذلك فيما يتفسخ الفكر المسيطر ، تبرز عناصر المستقبل وكأنها لتضم أشلاء الزمن التفصيلي في حركتها . تحت لهب شمس آب